

من آثار
فقهائ الأندلس

فناوى الإمام الشاطبي

أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الأندلسي

صاحب الموافقات والاعتصام
المتوفى سنة 790 هـ 1388م

حققها وقدم لها

محمد أبو الأجران

أستاذ مساعد بالطببة الزيتونية للشرية وأصول الدين
- تونس -

طبعة ثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فناوى الإمام الشَّاطِبي

أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الأندلسي

الطبعة الأولى 1405 هـ / 1984 م

الطبعة الثانية 1406 هـ / 1985 م

جميع الحقوق محفوظة للحقّق

15، نهج لواز. الوردية. 1009. تونس

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله الذي تكفل بحفظ الذكر الحكيم، والصلاة والسلام على رسوله الكريم .

وبعد، فبفضله تعالى لقيت فتاوى الامام أبي إسحاق الشاطبي قيولاً حسناً فلم يمض عام على ظهور طبعتها الأولى حتى نفذت نسخها، وتوالى طلبها، وذلك ما شجعتني على إنجاز طبعة ثانية لهذا الأثر الفقهي الأندلسي النفيس .
تمتاز هذه الطبعة على سالفاتها بـ :

- تلافي أخطاء مطبعية .
- تدارك الخلل الفني الذي جعل بعض الصفحات باهتة قليلة الوضوح .
- تعديل عنوان الكتاب بما يبرز — أكثر — اسم مؤلفه الشاطبي .
- إضافة ملحق يعرض نصاً للشاطبي، في مسألة مجاهدة النفس لتحقيق الخشوع في الصلاة .

وإني لن أنسى فضل من قدّر قيمة هذه الفتاوى الشاطبية، والجهد المبذول في تحقيقها، وعضل من أعان على نشرها بتونس وبيع بعض البلدان الإسلامية الأخرى، آملاً أن يكون توزيع هذه الطبعة على نطاق أوسع، وأن تحظى بما حظيت به سابقتها من حسن القبول .

كما أعتزف باستفادتي مما أبداه بعض الإخوان الكرام — مشكورين — من ملاحظات هامة، راجياً أن تتواصل استفادتي بملاحظات أخرى .
والله أسأل أن يوفقنا إلى ما فيه الخير والصلاح .

تونس، الوردية 29 صفر 1406 = 12 نوفمبر 1985

محمد أبو الاجفان التميمي القيرواني

تقديم

بقلم مصطفى أحمد الزرقاء

إن الشيخ الإمام أبا إسحاق إبراهيم الشاطبي قمة علمية متميزة بخصائصها في علوم الشريعة الإسلامية ، قامت في القرن الثامن الهجري في غرناطة من بلاد الأندلس ، تلك المملكة التي أصبحت في ذلك التاريخ ، في عهد بني الأحمر ، مثابة لكثير من المسلمين وعلماء العصر الذين كانوا ينزحون عن مواطنهم كلما استولى النصارى الأسيانيون على شيء منها ، واحدا بعد الآخر ، حين تمزقت وحدة الأندلس العربية الإسلامية ، وتفرق الحكام والأمراء من عشاق السلطة والحكم شيئا وأحزابا وعصبيات ، كلهم يريد السلطان ، بأي ثمن كان ، ولو بأن يستعين بعدوه على أخيه ، فيعينه العدو مكرًا وخدعة ، حتى إذا قضى على أخيه ، وانفرد به عدوهما الأسياني انقض عليه بعد أخيه ، واستولى على بلده !! وهكذا تتكرر المأساة دون عظة واعتبار .

نبغ الإمام الشاطبي في ذلك الجو المحيط والعهد الذي كان من الناحية السياسية بيئة موبوءة بعوامل التفسخ والانحلال ، ولكنه من الناحية العلمية أخذت تتجمع فيه وتتركز حصيلة المواهب والتفوق والنبوغ في عهود الازدهار .

ومما يثير العجب والانتباه أنه في ذلك العهد الذي بلغ فيه التمزق والانحلال السياسي بين المسلمين في المشرق وفي الأندلس مبلغا قضى على الأمل قد نبغ في الجهتين ، المشرق والمغرب ، أعلام من علماء الإسلام ، سطعت منهم أنوار ، وبرزت من نسج أيديهم وعبقرياتهم آثار من التراث كانت مداد القرون اللاحقة ، وستبقى خالدة على الدهر .

فمن هؤلاء الأعلام : الإمام الشاطبي وابن خلدون في المغرب ، والإمام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم والعز بن عبد السلام في المشرق .

هذا ، وما يلحظ ويسترعي النظر أنه من قبل أن يُنبش ويُنشر كتاب الموافقات في أصول الشريعة ، وكتاب الاعتصام للشاطبي ، قبل نحو ستين عاما ، كان أبو إسحاق الشاطبي غائبا عن الميدان في زوايا النسيان ، لا يكاد يأتي ذكره على لسان في تدريس الشريعة وأصولها في مراكز العلم والتعليم في المشرق .

ومنذ أن نُشر كتابه «الاعتصام في البدع» ، وكتابه الآخر «الموافقات في أصول الشريعة» ، وكانا من الكنوز الثمينة الدفينة ، أخذ اسم الشاطبي يدور على ألسنة العلماء والفقهاء ، وأصبح الكتابان — ولا سيما الموافقات — من ركائز التراث الأساسية التي يلجأ إليها أساتذة الشريعة وطلابها المتقدمون ، تفهما في دراساتهم ، وعزوا وتوثيقا لأفهامهم فيما يكتبون ، ولع نجم الشاطبي منذئذ بالمشرق في هذا الأفق العلمي ، ثم أخذ يزداد سطوعا حتى أصبح يُستضاء به في بحوث أصول الشريعة ومقاصدها ، وتوضح به المَحَجَّة ، وتقام بما فيه الحُجَّة .

فقد ألقى كتاب «الموافقات» نورا كاشفا في طريق دراسة الفقه وأصوله . أعضاء لسالكيه المعالم الصحيحة ، التي إذا تتبعوها في سلوكهم وتكوين آرائهم وفتاواهم حققوا مقاصد الشريعة الإسلامية . وطبقوها في فهم أحكامها ، ووصلوا إلى أهدافها في صلاح الحياة البشرية بالنظر الإسلامي ، وتمييز المصلحة من المفسدة .

هكذا كان أثر ظهور كتاب «الموافقات» من كنوز التراث في الدراسات الشرعية ، وتأثير نشره في الأوساط العلمية ، التي تُعنى بالفقه وأصوله . فقد أضاف إلى علم أصول الفقه ومؤلفاته بيانا إبداعيا في مقاصد الشريعة ، وهو الجانب الذي كان حظه من العناية في مؤلفات أصول الفقه قليلا وضيلا لا يتناسب مع عظيم أهميته في طريق استنباط الأحكام . فقد ألقى الإمام أبو حامد الغزالي قبل ذلك نواة هذا الموضوع في «مستصفاه» ، ثم قام الشاطبي باستنبات هذه النواة في «موافقاته» خير الاستنبات ، حتى أصبحت على يديه حديقة وارفة الظلال .

واليوم يطلع علينا أخونا الأستاذ محمد أبو الأجفان من الكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين بالجامعة التونسية في سلسلة تحقيقاته لآثارٍ ثمينة نيرة من التراث —

بفتاوي الإمام الشاطبي ، ظفر بها الأستاذ أبو الأحناف في جملة أنابيشه التراثية القيمة التي ينبشها بعد أن دفنت وهي حية نابضة ، ثم ينفخ فيها روح الحياة من جديد ، بتحقيقه إياها ونشرها ، لينتفع بها عشاق التراث من الباحثين عنه الولوعين به ، لتبقى بعد هذا النشر حية بإذن الله إلى يوم النشور .

وكان الأستاذ أبو الأحناف حقق من آثار الشاطبي البديعة كتاب «الإفادات والانشادات» ونشر في السنة الماضية .

وهذه الفتاوي التي يحققها ، ويُنشر بعضها اليوم لأول مرة سجل ناطق بآراء الشاطبي التطبيقية ، فيما واجهه في عصره ومن أهل عصره ، أو استُفتي فيه ، يبرز فيها منهجه الفقهي في تطبيق المبادئ والمقاصد الشرعية التي استخلصها من شواهد نصوص الكتاب والسنة وما توحى به من دلالات على مقاصد الشريعة العامة ، وقررها في كتابه «الموافقات»

ومن ثم تتجلى القيمة العلمية لهذه الفتاوي ، وأهميتها من الوجهتين :

— الوجهة التاريخية ، إذ تعرّفنا بالوقائع الحادثة في عصره ، وهل غابت بعد ذلك عن المسرح ، أو انها ما تزال قائمة إلى عصرنا اليوم .

— والوجهة المنهجية التطبيقية في تقرير حكم الشريعة فيها ، وما كان بينه وبين بعض أهل عصره في هذا المجال من اختلاف الأنظار ، وما كان بينهم في بعض تلك الوقائع من حوار علمي .

فنشر هذه الفتاوي وأمثالها مما صدر عن أمثال الشاطبي في وقائع عصرهم ، وموقفهم منها ، وطريقتهم في علاجها ، له أهميته ، ولا سيما في عصرنا هذا الذي يتجه فيه النابجون من فقهاء العصر إلى اكتشاف مواقف السلف من القضايا ، وأسلوب تفكيرهم الشرعي ، ونهجهم في تقرير الأحكام ، والرجوع إلى طريقتهم المثلى في التفكير الفقهي .

هذه الفتاوي ، وإن لم تتميز بضخامتها وكثرة مسائلها ، قد تميزت بمنهجيتها في تحليل الوقائع والمشكلات ، وطريقة الإمام الشاطبي — رحمه الله — في نفاذ بصيرته إلى جوهر الأمور ونتائجها وعواقبها ، دون الوقوف عند الحواجز الشكلية التي تحجب الحقائق وراءها .

ومن الأمثلة الكثيرة لذلك في هذه الفتاوي ما يراه القارىء الكريم في قضية من أعظم القضايا خطرا ، وهي قضية الملاحدة الإباحيين والزنادقة من الباطنية الذين أطلقوا على أنفسهم اسم (الفقراء) ، وراحوا يفتنون الناس ويضللونهم في معاني النصوص القطعية من القرآن ، بحملها على معان قبيحة يزعمون أنها هي الحقيقة التي يفهمونها هم ، لا من مصدر علمي ، بل بما يحصل لهم في صدورهم !! وأما معانيها الظاهرة بطريق اللغة فهي مجازات لا عبرة لها . وبذلك يستبيحون المحرمات ، ويتحللون من الواجبات ، ويعاقرون الفسق والفجور ، بغية التضليل السري لتهديم الإسلام من الداخل !!

فقد وقف الشاطبي رحمه الله بفتواه في هؤلاء ، وفي الشهادة التي قامت عليهم — رغم اختلاف الشهود في بعض جزئياتها — موقف الفقيه النافذ البصر ، البعيد النظر ، الدقيق التحليل ، كما يراه القارىء في الفتوى [46] من هذه الفتاوي . هذا ، ومن المعلوم لأهل الفكر والبصيرة من العلماء أن قضية الباطنية بمختلف فروعها وصورها وامتداداتها ونشاطاتها التهديمية من أخطر ما واجهه الإسلام من بعض العناصر المغلوبة التي لجأت إلى تهديمه من الداخل . فعلى علماء الإسلام المستبصرين وحكامه أن يكونوا أيقاظا لرصد حركاتها والمبادرة إلى حصرها والقضاء عليها حيثما تظهر بوادرها ، فإن كثيرا من مآسي المسلمين التاريخية كانت أصابع الباطنية فيها متذرعة بمبدأ التقية (الحرابوية) لإخفاء حقيقتها الخبيثة ، واستمرارها في صيد المغفلين ، وتمزيق الصف الإسلامي .

وفي ختام هذا التقديم أجد من واجبي أن أشيد بالجهد المشكور الذي بذله أخونا الأستاذ محمد أبو الأحفان — جزاه الله خيرا — في تحقيق هذه الفتاوي الشاطبية ونشرها ، وفيما قدمه بين يديها من تعريف صاف واف بها وبصاحبها الإمام الشاطبي وبعضه الأندلسي وبخاصة في غرناطة التي عاش فيها ، والعزيزة الذكري لدى كل مسلم . وأرجو أن يكون في نشر هذه الفتاوي تبصرة لأولى النهى من علماء الإسلام .

عمان
مصطفى أحمد الزرقاء
كلية الشريعة بالجامعة الأردنية

مقدّمة المحقق

الحمد لله الذي خلقنا في أحسن تقويم ، وتفضل علينا بإرسال رسول كريم ،
جاء بشريعة سمحة تهدي إلى الطريق المستقيم .

والصلاة التامة على نبينا المصطفى رحمة للعالمين ، الذي أرشد الناس إلى المنهج
الرباني المفضي إلى سعادة الدارين ، وأفتاهم فيما نزل بهم موضحا أحكام الله ،
فكان أول الموقعين عن رب العالمين ، وأورث العلماء وظيفة شريفة عظيمة القدر ،
هي وظيفة الاجتهاد الفقهي ، وإفتاء المستفتين في كل ما يعرض في حياتهم ،
ليكونوا على بينة من أمرهم ، ويعملوا ما يرضي ربهم ، ويحقق فوزهم .

وبعد ، فعندما اشتغلت بتحقيق كتاب « الإفادات والإنشادات » لأبي
إسحاق إبراهيم الشاطبي الأندلسي ت 790 ، وبالترجمة له تقدما للكتاب، لفت
انتباهي جانب هام من جوانب نبوغ هذا العالم الجليل الذي كان له أثر في الحياة
الفكرية بالأندلس في عهد ظهرت فيه بوادر الانحدار والاستسلام للمصير المحتوم
الذي يفقد معه الفردوس . أعني بهذا الجانب الإفتاء في المسائل الفقهية والاجابة عن
أسئلة السائلين المستوضحين لأحكام فرعية أو مبادئ كلية للشريعة الإسلامية .
فقد صدرت عنه رسائل — متفاوتة في حجمها — تضمنت تعريفا بأحكام
فقهية ، وتوجيها علميا في مجال الاجتهاد والتقليد ، وإرشادا دينيا في ميدان
الاصلاح والتجديد ، وشرحا لبعض الأحاديث النبوية . وكانت هذه الرسائل أداة
من أدوات التبليغ ، وطريقة ناجعة من طرق الاتصال بالجمهور ، وهي تمتاز عن
سائر الطرق بأن إثارة الموضوع فيها كانت من سائل مستفت منشغل بالأمر ،

حريص على الاستفادة . والصفة الطاغية على هذه الرسائل صفة الإفتاء بمفهومه الأصولي . وذلك ما جعل المترجمين للشاطبي ينسبون إليه فتاوى فقهية ، دون أن يفيد أحد منهم أنها دونت في كتاب مستقل .

وكانت ظاهرة الاهتمام بالنوازل الفقهية وجمع الفتاوى وتدوينها قديمة لدى الأندلسيين ، تشهد عليها مصنفات تحتفظ بها بعض الخزائن المغربية والتونسية ، وتلقى اليوم عناية بعض الباحثين . ومن حسن حظ الثقافة الأندلسية أن هذه الظاهرة تواصلت في القرن الأخير من حياة الأندلس الإسلامية ، وتجلت في تضمين بعض المؤلفين من الفقهاء مصنفاتهم بعض فتاوى مَنْ عاصروهم أو سبقهم ، وفي جمع فتاوى أندلسية ضمن كتاب خاص ، يكون تارة مقتصرًا على ما صدر عن عالم واحد ، وتارة أخرى جامعا لما صدر عن فئة من العلماء .

وعندما محص الله مسلمي الأندلس بسقوط آخر معاقلمهم ، وانطواء بساط علومهم بمملكتهم الغرناطية ، تجلّى الاستعداد التام لدى أعلام المغرب الذين تربطهم بإخوانهم الأندلسيين أقوى روابط الدين والعلم ووحدة الهدف والاشتراك في المسؤولية لمواصلة السند العلمي الأندلسي ، وتلقف معارفهم والعناية بها ، كما أووا مهاجرهم وأكرموا علماءهم .

وأثمر الاهتمام الأندلسي بالنوازل خلال القرنين الثامن والتاسع ، والاهتمام المغربي بها خلال القرون الموالية ، الاحتفاظ بالكثير من فتاوى الإمام أبي إسحاق الشاطبي ، حيث وجدناها موزعة بين كتب مخطوطة وكتب مطبوعة .

ولئن كانت هذه الفتاوى — كسائر ما صدر عن الفقهاء — تعرّف بالأحكام الشرعية للوقائع الطارئة ، فإنها تلقي بعض الأضواء على شخصية صاحبها ، وتدل على اتجاهه وموقفه من البدع التي عاصرها ، وتشير إلى أوضاع اجتماعية واقتصادية بالمملكة الغرناطية النصرية في النصف الثاني من القرن الثامن .

وهذا ما حدا بي إلى الإقبال على فتاوى عالم غرناطة ومجدها ، جمعا وترتيبًا وتحقيقًا وتعليقًا ، لأتمحّف بها القراء الذين يتطلعون إلى أحكام فقهننا الإسلامي ، ويهفون إلى المظاهر الاجتماعية والأوضاع الثقافية للصفحات الأخيرة من سجل الحضارة الأندلسية التي مازال تيار تأثيرها ساريا في حياتنا إلى اليوم .

انصرفت إلى البحث عن نصوص فتاوى الشاطبي في الكتب التي توقعت اشتغالها عليها ، فوجدت أن أكثرها يتكرر فيها مما يدعوني إلى المقارنة . واستطعت أن أجمع ستين فتوى دون اعتبار المكرر ، كان أكثر من ثلثها موزعا على أجزاء موسوعة « المعيار العرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب » لأبي العباس أحمد الونشريسي ت 914 هـ التي يسر الله طبعها ، وكانت البقية من التراث النفيس الذي لم يكتب له النشر ، وإنما تضمنتها كتب أندلسية تحفظ بآثار فقهية هامة لأعلام فردوسنا المفقود ، منها مجموعة فتاوى بمكتبة الاسكوريال الاسبانية لا يعرف جامعها كما لا تعرف نسخة ثانية منها — فيما نعلم — ومجموعة أخرى للقاضي الأندلسي أبي الفضل بن طركاظ ، الذي أورد نصوصها المشابهة لنصوص مجموعة الاسكوريال مع نوع من الاختصار يؤدي إلى حذف عبارات من أول الفتوى ومن آخرها ، دون أن يؤثر على معنى الحكم الشرعي المشتمة عليه .

وقد وزعت الفتاوى على محاور تفاوتت حظ كل منها فيما انتمى إليه من الفتاوى ، وكان النصيب الأوفر لمحور البدع والعادات حيث نال ربعها ، والسر في ذلك أن صاحبنا كان منصرفا إلى أداء واجب مقاومة ما يراه من المنكرات والبدع ، وإلى بيان مقاصد الشريعة ، وإلى حمل المنحرفين من الأندلسيين على الرجوع إلى جادة الصواب والمنهج الإسلامي الرشيد ، ويتجلى ذلك حتى في بعض فتاوى الأرباع الثلاثة الأخرى .

هذا وقد قسمت عملي إلى قسمين أساسيين ، خصصت أولهما للتعريف بالفتي أبي إسحاق إبراهيم الشاطبي ، وبالفتاوى عامة ، وبتاوى الشاطبي خاصة ، وخصصت ثانيهما لنصوص فتاويه ، فقدمتها بالترتيب الجديد محققة ، مع التعليقات التي رأيتها مناسبة .

جاء القسم الأول في ثلاثة فصول :

أولها : ترجمة الشاطبي . ثانيها : الإفتاء والمفتون . ثالثها : فتاوى الشاطبي .

وذيلت القسم الثاني بالفهارس التي تمد القارئ بمفاتيح الكتاب .

وعسى أن يكون هذا الأثر الفقهي النفيس فاتحة سلسلة للآثار الفقهية الأندلسية نثري حلقاتها بما تنتخب مما أنتج أعلام الأندلس ، وخاصة من أحكام النوازل الواقعة .

وإني أتقدم بجزيل شكري ووافر ثنائي إلى الأصدقاء الأعزاء الكرام : الشيخ محمد أبي خبزة التطواني ، والدكتور سعد غراب الأستاذ بالجامعة التونسية (كلية الآداب) والدكتور صلاح جرار الأستاذ بالجامعة الأردنية (كلية الآداب) والأستاذ عبد الوهاب بن منصور مؤرخ المملكة المغربية ، فقد أهداني الأول نسخة بخطه من نوازل أبي الفضل بن طركاظ الأندلسي ، اعتمدها عند جمع فتاوى الشاطبي وتحقيقها ، وأعارني الثاني نسخته المرقونة من كتاب « روضة الأعلام » لابن الأزرق الأندلسي ، فوجدت به جوايين للشاطبي ، وأعارني الثالث مصورته من كتاب « جنة الرضى » لابن عاصم الأندلسي ، وفيه بعض الإقادات النادرة عن الشاطبي ، وأهداني الرابع الأجزاء الصادرة من تأليفه : « أعلام المغرب العربي » ، وقد تضمن أولها ترجمة للشاطبي .

وأمل أن يكون إعداد هذه الفتاوى وإخراجها قد تما على الصورة المناسبة التي تصورها المشجعون على إبراز المشروع عندما كان في طور التخطيط ، المقدرين للمكانة العلمية للشاطبي صاحب كتابي «الموافقات» و«الاعتصام» ، المهتمون بفن الفتاوى الفقهية وما يستمد منها من إفادات اجتماعية وتاريخية .

ولقد كان لهؤلاء المشجعين — من أساتذتي وإخواني — أثر في نفسي حفزني إلى المسارعة بالإنتاج والمبادرة بتقديم هذا الأثر من تراثنا الأندلسي القيم .

وقد اجتهدت ما وسعني الجهد في هذا العمل الذي لا أدعي كماله؛ ولذا فإني منتظر ملاحظات القراء الكرام لتدارك ما حصل من نقص أو خلل لا يخلو منهما عمل بشري .

وإلى الله العلي الكريم أبتهل أن يجعله خالصا لوجهه الكريم ، وأن يتفضل بالجزاء الذي يكون ذخرا ليوم الدين ، وأن ينفع به قارئه ، وأن يلهمنا جميعا الرشد والسداد ، إنه سميع مجيب الدعاء .

تونس ، الوردية : 20 ذي القعدة 1404 : 17 أوت 1984

محمد أبو الأجنان التميمي القيرواني
أستاذ مساعد بالكلية الزيتونية للشريعة وأصول
الدين (قسم الفقه والسياسة الشرعية) — تونس

رموز

- أ : مخطوطة «الحديقة المستقلة النظرة في الفتاوي الصادرة عن علماء الحضرة، غرناطة «بالاسكوريال»
- ب : ظهر ورقة مخطوط .
- ط : نوازل أبي الفضل بن طركاظ الأندلسي ، مخطوطة خاصة بخط الشيخ محمد أبي خبيرة التطواني .
- م : المعيار العرب للنشر يسي ، طبعة بيروت ، وأحيانا يرمز إليها بكلمة (المعيار).
- وإذا قصدنا الطبعة الفاسية من هذا الكتاب ، قلنا : طبعة فاس .
- المعيار الجديد : نوازل المهدي الوزاني ، المطبوعة على الحجر بفاس .
- .../... : الرقم قبل الخط يشير الى جزء من كتاب ، وبعده يشير الى صفحته .
- [.....] : لخصر ما أضيف لنصوص الفتاوي من عناوين ، ومن زيادات مقترحة ، أو إصلاح لما في الأصول المعتمدة .
- م ، ن : المصدر نفسه
- ت : توفي أو متوفى
- ر : انظر
- ﴿...﴾ : لخصر الآيات القرآنية
- «....» : لخصر الأحاديث النبوية .

القسم الأول

التعريفُ بالسَّاطِبيِّ وبالفتاوى

الفصل الأول : ترجمة السَّاطِبي

الفصل الثاني : الإفتاء والمفتون

الفصل الثالث : فتاوى السَّاطِبي

الفصل الأول

ترجمة الإمام الشاطبي

- مصادر ترجمة الشاطبي
- غرناطة في عصر الشاطبي
- ولادة الشاطبي ونشأته
- دراسته وشيوخه
- تلاميذه
- أسانيده
- مؤلفاته وشعره
- صفاته
- خطط تولّاه
- محنته
- من آرائه
- وفاته
- شهادات العلماء
- مكانته السامية بين بعض معاصريه
- أبحاثه مع العلماء ونقد بعض آرائه
- خاتمة

